ChatGPT

الثقافة التربوية الأسرية

تُعرَّف **الثقافة التربوية الأسرية** بأنها منظومة القيم والمعتقدات والمعارف والممارسات التي تترسّخ داخل الأسرة وتُوجه طرائق تربية الأجيال. فهي الإطار المرجعي الذي يستمدّ منه الأهل تصوّراتهم حول الطفولة، وطبيعة العلاقة بينهم وبين الأبناء، والسلوكيات المرغوب زرعها [1] [2] . تشمل هذه الثقافة الأسرية عناصر عديدة، مثل القيم الدينية والأخلاقية، والعادات والتقاليد اليومية، والمعارف التعليمية، وأساليب التواصل داخل الأسرة. فكلما تربَّت الأسرة على قواعد ثابتة من القيم والفضائل، أعطت أجيالاً قوية متماسكة لا تهزُّها عواصف الحياة [3] [1] .

دور الأب

- **المعلم والقدوة الأولى.** يعتبر الأب عماد الأسرة وأساس صلاحها، وله التأثير الأول والأهم على الأبناء منذ الصغر [4] . فالأب هو الراعي المكلّف بتعليم الأبناء أمور دينهم ودنياهم، وهو الذي يُنفق عليهم ويوجّههم أخلاقياً وعلمياً. قال تعالى: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» [5] ؛ فقد أوصى الشرع الآباء بالعناية بتربية الصغار، وإيصالهم إلى البر والتقوى. والأبوة لا تنحصر في الإنفاق المادي، بل هي مسؤولية مشتركة بين الزوجين في غرس القيم ومتابعة نمو الأبناء [5] . على الأب أن يكون قدوة حسنة، يترجم الأخلاق الفاضلة إلى سلوك عملي أمام أولاده؛ فقد وصف القرآن الكريم نبي الإسلام ﷺ بأنّه «على خلقٍ عظيم» [6] ، ليقتدي به الآباء في رباطة الجأش والخلق الرفيع. يقول الرسول ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعيّةٌ يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيّته، إلّا حُرِم الله عليه الجنة» [7] ، وهذا يبيّن أنّ الأب إذا أهمل رعاية الأسرة أخلاقياً أو علمياً فإنّه يرتكب مخالفة فادحة. إنّ مسؤولية الأب تشمل التربية الدينية (حفظ القرآن والصلوات)، وتحفيز الأبناء على طلب العلم، وغرس روح المسؤولية والأمانة في نفوسهم. فالأسرة تقوم بتربية أبنائها على المعارف الأساسية، كما يقول بعض العلماء: «خير ما ورث الرجل بنيّه أدباً صالحاً وحسناً» [8] ، أي علمهم الأدب والأخلاق قبل الأموال، إذ إنّ المعارف والقيم الصالحة تبقى رغم فناء المال.

دور الأم

- **روح الأسرة وركيزة الحنان.** للأم مكانة خاصة في التربية؛ فهي الروح الدافئة التي تتخلل جوّ البيت بالحب والحنان، وأولى المعلمات للطفل منذ ولادته [9] . إنّ تلبية الأم للاحتياجات العاطفية والنفسية للطفل كالحنان والدفء تشكّل غذاءً نفسياً ضرورياً لبنائه السليم [9] . لقد حثَّنا نبينا ﷺ على ذلك بقوله: **«أحبوا الصبيان وارحموهم»** [10] ، وذكر أن من قبّل ولده كتب الله له حسنة، فرّحه الله يوم القيامة [10] . ولهذا تبرز أهمية تربية الطفل على المحبة والحنان؛ فقد أثبتت البحوث النفسية أن 91% من المجرمين في دراسةٍ ما نشأوا بلا دفء عاطفي في أسرهم [11] ، مما يوضّح خطورة غياب الحب. الأم تربي الطفل على العادات الحسنة، مثل الصدق والاحترام والنظافة، وتصحّبهم إلى أماكن العبادة والثقافة لتغرس فيهم القيم الدينية منذ الصغر [12] [13] . كما أن الأم غالباً تكون الداعم النفسي الأول؛ فحضورها في البيت وصيتها وتوجيهها يُنشئ جواً مستقراً ومشاعر أمان لدى الطفل. إلا أن الأم أيضاً تشارك الأب المسؤولية في وضع قواعد البيت ومتابعة دراسة الأطفال. وسواء أكانت تعمل خارجه أم كانت بالبيت، فإنّ توازن دورها (بين تحقيق الذات ورعاية الأسرة) مهم لضمان استقرار الحياة المنزلية وعدم إحساس الأبناء بالإهمال [14] .

دور الأبناء

- **شريك في العملية التربوية.** يمثل الأبناء الحلقة الأخرى في السلسلة التربوية؛ فهم المربَّون الذين ينبغي أن يستجيبوا لتوجيهات والديهم ويتعاونوا معهم في أسرة متماسكة. على الطفل أن يحترم آباءه ويطيعهم فيما يأمرونه بالبرّ والمعروف، مع تعلّم مهارات حياتية تدريجياً وفق سنّه. ونجد في تعليم الإسلام مثالاً عمليًّا على إشراك الأطفال في العبادة: فقد أمر الرسول ﷺ بأن نعلّم الأطفال الصلاة عند سن السابعة، وإن لم يواظبوا عليها عند العاشرة يؤدَّبون بالعقاب المرشد [13] . وهذا يوضح أن الطفل شريك يجب تعويده على المسؤوليات الدينية والاجتماعية منذ الصغر. كما يجب أن يغرس الوالدان في أبنائهم حبّ العلم

والثقافة، فتنشأ في الأسرة تشجيع على الاطلاع والقراءة والتعلّم. وبما أنّ الأبن قدوة أخيه الأصغر، فإن امتثال الطفل الأكبر للقيم المنزلية يسهم في بثها في الأسرة ككل. وباختصار، يقدّم الابن صورة صادرة عن التربية الأسرية وينقلها للمحيط؛ فنجاح الأسرة في تنشئة جيل صالح يعتمد على وعي الأبناء برسالة الأسرة.

دور البيئة المحيطة

- **المجتمع والأصدقاء ووسائل الإعلام.** تتجاوز تأثيرات البيئة حدود البيت؛ فالمدرسة والمجتمع وأصدقاء الطفل والإعلام المحيط له أدوار تربوية مهمة. وبالنسبة للأصدقاء، يحذّرنا الدين من أصدقاء السوء: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل» [15] . فاختيار الصديق الصالح يساعد الطفل على الاستقامة، أما الصداقة المؤذية فتعرضه لقيم مغايرة. كذلك لا بدّ للأسرة من مراقبة ما يتعرض له الأبناء من وسائل الإعلام والتكنولوجيا [16] . ففي هذا المجال يقول الخبراء: «إنّ أهمّ الأدوار الثقافية للأسرة مراقبة ما يُقدَّم للأبناء من خلال وسائل الإعلام، فالأسرة لا تستطيع منع ما يُعرض فيها كليّاً ولكنّها تستطيع مراقبته ورشْده، لأن بعض البرامج قد تتضمّن قيمًا لا تتفق مع أهداف الأسرة التربوية السليمة» [16] . بمعنى آخر، يجب تحديد المحتوى المناسب للطفل ومرافقته في الأنشطة الإيجابية، لئلا تنقلب التكنولوجيا إلى بيئة ضاغطة أو مغرية للانحراف. إضافة إلى ذلك، تلعب مؤسسات المجتمع (المدارس، النوادي، المساجد) دورًا تكميلياً في التربية؛ حيث يكتسب الأطفال المزيد من المعلومات والقيم الاجتماعية والثقافية **من داخلها وتحت إشراف معلميها** [15] [16] . فنتيجة لذلك، يجب أن تتضافر جهود الأسرة مع المدرسة والمحيط الثقافي لضمان تنشئة متوازنة للأبناء.

العلاقات التربوية داخل الأسرة

- **العلاقة الزوجية (الزوج والزوجة):** تُعدّ بيئة الزواج الركيزة الأولى لاستقرار الأسرة. فوجود تفاهم ومودة بين الزوجين يوفّران جواً تربوياً صحّياً للأطفال. كما يوضِّح بعض المختصين: «إنّ العلاقة بين الزوجين الركيزة الأساسية لاستقرار الأسرة، وهي العامل الذي يحدّد نجاح الأسرة كوحدة اجتماعية» [17] . وإذا تعكّرت صفو العلاقة الزوجية – بسبب خلافات مالية أو فشل في توزيع الأدوار أو ضعف في الحوار – فإنّ ذلك يضرب الأسرة ويؤثر سلباً في تربية الأبناء. لذا تحثُّ التوجيهات الإسلامية على التعاون بين الزوجين في تعهد شؤون الأبناء، والاحترام المتبادل، والتسامح فيما بينهما [18] .
- **العلاقة الأبوية (الوالدان والأبناء):** هي الجوهر الفعلي للعملية التربوية. فالأبوان معاً قدوة يحتذي بها الأبناء في الأخلاق والعادات. وقوله تعالى: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» نطبقُه أولاً في البيت؛ لأن كل درس يجب أن يكون درس أخلاق. كما أن من المهم أن يكون والدا الطفل متّفقين في خطط تربيتهم، لأن تباين المناهج يؤدي إلى ارباك الولد. وعندما تكون العلاقة الأبوية محبّة وتفاهم، ينشأ الأبناء وهم يشعرون بالانتماء والأمان، وقد أثبتت البحوث النفسية أن الأطفال الذين ينشئون في عائلات دافئة عاطفياً هم أقل عرضة للمشكلات النفسية والسلوكية [9] [19] . ومن منظور نفسي، ينبغي على الوالدين المزج بين الرفق والعدالة؛ فالرفق في المعاملة يزيد من تقبّل الطفل للتربية [20] ، فإذا لائم كل طرف الآخر – الأب بالعدل والمراقبة والأم بالحنان – برزت أسرة متماسكة متعاونة.
- **العلاقة الأخوية (بين الإخوة):** يجب أن تسودها مودة ورحمة. فالإسلام يربط بين أفراد الأسرة بمشاعر الإخاء والعطف؛ فقد حثت السنة على البرّ بالولدين والإحسان إلى الأخوة. وما زوي الرِّفق من أسرة إلا زوي عنها الخير [20] . مثالياً، ينظر الإخوة إلى بعضهم البعض كأصدقاء، يدعم أحدهم الآخر في المحن ويفرح لإنجازات أخيه، ولا يترك مجالاً للغيرة أو البغض. على النقيض من ذلك، فقد ينعكس الخلاف والأحقاد بين الإخوة سلبيًّا على بناء الشخصية، وقد أورد القرآن قصصًا تحذِّر من الغيرة (كقصة قابيل وهابيل). وقد لخص بعض الحكماء هذه الفكرة قائلاً: «خير ما ورث الرجل بنيّه أدبًا صالحًا وحسن ثناءٍ» [8] ، أي إن تربية الأولاد على الأدب والخلق أفضل لهم من ثروة كبيرة، لأنها تظلل العلاقة بين الإخوة وترسّخ المحبة بينهم.

نماذج واقعية مع تحليلها

- **نموذج إيجابي:** قد نجد عائلة تشكّل نموذجًا ناجحًا عندما تتّبع أساليب تربوية متوازنة ومحفّزة. فمثلًا، عائلة يلتقي أفرادها بانتظام للصلاة والقراءة معًا أو للخروج بنزهة ثقافية، ينشأ أطفالها وهم يشعرون بالدفء والانتماء والحافز للتعلّم. إن غرس القيم الدينية والأخلاقية في روال الأسرة اليومي – كما ورد في التعاليم الإسلامية – يثمر تربية سوية؛ إذ «من أهمّ ما يُعلم للأطفال هو غرس القيم والأخلاق الحسنة في

شخصياتهم» [12] . فإذا كان الوالدان نموذجًا يُحتذى به (التزامًا بالصلاة، مثلاً) وعاملا بالرحمة واللين [20] ، شَبَّ الولد على هذا الجو، فتعوّد الصبر والاحترام ومحبة العلم. كذلك، يعزّز مدح الوالدين للأبناء وتقديم المكافآت الرمزية مثل قبلة أو هدية على إنجاز طفلٍ بسيط شعورهم بالنجاح والرغبة في المثابرة [10] .

- **نموذج سلبي:** في المقابل، نلمس في الواقع أسرةً تنهار ثقافتها التربوية حين يغيب التواصل والتنظيم. مثال ذلك طفل يُفسح المجال أمام الشاشات الإلكترونية دون رقابة أو مشاركة أبويه في اهتماماته، فتقلّ فرص نقاشهم معه عن يومياته ومشاعره. كما وجدت الدراسات أن الإفراط في استخدام وسائل التواصل يُكوّن فجوة بين الأجيال؛ إذ يقضي الطفل وقتًا طويلاً في عالم افتراضي قد يزوده بقيم غربية أو سلوكية مختلفة عما يسعى الآباء لغرسه [21] . هذا النمط السالب من التربية قد يؤدي بصغار للأسف إلى العزلة أو عدوانية أو انحراف؛ فقد أثبت بحث نفسي أن الأطفال الذين حُرموا من الحب والاهتمام الأسري كانوا أكثر ميلاً للسلوكيات المضطربة فيما بعد [11] . إن ملاحظة مثل هذه النماذج الواقعية يعزّز حتمية تدخل الوالدين فاعلاً في إدارة الحياة اليومية للأسرة: لتجنب الطغيان العاطفي أو التمزق الأسري، يجب التصدي بالعلاج والتغيير المناسبين.

أمثلة تطبيقية ونصائح عملية

- **تعزيز الحوار الأسري:** حدّدوا وقتًا يوميًّا للتحدّث مع الأبناء وسماع مشاكلهم واهتماماتهم [19] . فكما أوصى خبراء التربية، إنّ تخصيص بضع دقائق يوميًّا للحوار العائلي يبني الثقة بين الآباء والأبناء ويضمن تبادل الخبرات [19] . على سبيل المثال، جلسة عائلية قبل النوم للتحدّث عن يوم كل فرد تقوّي روابط المحبة والأمان.
- **المشاركة في الأنشطة الإيجابية:** اشتركوا مع الأولاد في أنشطة علمية أو ثقافية. فتنشئة الطفل على القراءة وحضور الفعاليات الدينية أو العلمية (مثل دروس القرآن أو المعارض التعليمية) يُغذّي فضوله ويُعمّق انتماءه للدين والثقافة [13] [12] . على سبيل المثال، اصطحاب الأبناء إلى المسجد للصلاة معًا أو إلى المكتبة العامة، يرسخ فيهم الحرص على العبادة والمعرفة.
- **المكافآت والحنان:** مدحوا وتقبّلوا أبنائكم عند إنجازاتهم الصغيرة؛ فقد ورد: «من قبّل ولده كتب الله له حسنة» [10] ، أي إن حنان الأهل وثناؤهم يُثبّتان في نفس الطفل شعور الفخر والرضا. استخدموا التعزيز الإيجابي (كالكلام المشجع أو العناق) أشبه بكسرات بنّ حلوة بعد قيامه بعملٍ جيد، فهذا أبسط أساليب التربية وأسلمها.
- **العدالة والرفق في العقاب:** إنّ تطبيق قواعد السلوك الواحدة على الجميع يُجنّب الشعور بالظلم. فإذا اقتضى الموقف تأديب طفل – بدلاً من الصراخ أو الضرب المفرط – يمكن استخدام عقاب مقبول كحرمان مؤقت من الجلوس أمام التلفزيون أو تحديد أمرٍ مألوف عليه، مع شرح السبب برفق [20] . فالرفق في التربية يزخّيها، كما قال النبي ﷺ: «ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه» [20] .
- **مراقبة البيئة الخارجية:** تحققوا من أصدقاء الأبناء وأنشطتهم الخارجية. فكما جاء في النصائح، يجب «النظر لمن يخالطونهم» [15] ؛ أي راقبوا صداقات أبنائكم واختروا له من يشجّع قيم العائلة ويحفّزه على الخير. كذلك، راقبوا برامج الأطفال والألعاب، فضعوا حدودًا مناسبة للإنترنت والتلفزيون [16] كي لا تلتهم الوقت المخصّص للعائلة أو تنقلهم إلى عوالم غريبة.

محاور تنمية الثقافة التربوية في الأسرة

لتطوير الثقافة التربوية في الأسرة، يمكن العمل على المحاور التالية:

- **تعزيز القيم الدينية والأخلاقية:** اجعلوا الدين نواة حياة الأسرة؛ فالمتابعة الجماعية للعبادات (كقراءة القرآن والصلاة جماعة) وغرس الأخلاق الحميدة (الأمانة، الصدق، التسامح) يرسّخان في نفوس الأبناء أعمدة الشخصية السوية [12] [5] . مثلاً، الالتزام بجدول يومي يحفز على قراءة آيات أو أحاديث، ووضع مواعيد ثابتة للصلاة، يكوّن في الطفل انضباطاً مبكّراً.
- **تمكين الوالدين بالمعرفة والمهارات:** شجّعوا على حضور ورش ودورات في التربية أو قراءة كتب متخصصة؛ فمبادئ علم النفس التربوي (كتعلم كيف يفكر الطفل بعمره، وكيفية التواصل معه) تقود إلى نتائج أفضل. والاتفاق المشترك بين الأب والأم على خطة تربية موحّدة (كما أشارت بعض المصادر) يضمن تناغم الدورين ولا يربك الأطفال [5] .
- **تطوير التواصل الأسري:** اجعلوا البيت بيئة مفتوحة بالحوار والتفاهم. مثلاً، ابدأوا يومكم ببضع كلمات تشجيعية، ولا تتأخّروا في الاستماع لمشاكل الطفل وتفهّمها [19] . يدعو المختصون إلى تفعيل مهارة الإصغاء «لأطفالنا وهم يتحدثون»، لأنّ ذلك يعزز الثقة بالنفس والاحترام المتبادل.

- **تعزيز القدوة والاحتواء العاطفي:** كونوا مثالاً عملياً على ما تقولونه، فالطفل يقلّد والديه. وإذا رأى الأب والأم يتبادلان الاحترام والحب فإنّ هذا يرسخ معايير العلاقة الصحيحة. ولا تنسوا توفير الأمان العاطفي والمساندة؛ لأنّ الغياب الدائم للحنان يؤدي إلى ضعف الشخصية [9] [20] .
- **التنسيق مع المجتمع:** استفيدوا من المؤسسات المجتمعية؛ شاركوا في أنشطة المدرسة أو الحلقات الدينية أو النوادي الأسرية. فهذا يتيح بيئة داعمة تساعد على استثمار مواهب الأبناء وتلقينهم قيمًا إيجابية.
- **استخدام التكنولوجيا بحكمة:** استغلُّوا التقنيات الحديثة في التعلم (مثل التطبيقات التعليمية أو الفيديوات المفيدة)، ولكن حددوا ساعات للترفيه الإلكتروني بعيداً عن وقت الأسرة المشترك. فالتحكم بوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي يحول دون زعزعة القيم التي تغرسونها [16] [21] .

من خلال تضافر هذه المحاور (القيمية، التربوية، الاتصالية، المجتمعية، والرقمية)، يمكن بناء **ثقافة تربوية أسرية** قوية، تجعل الأسرة حاضنة للأجيال الصالحة وقاعدة متينة لاستقرار المجتمع.

المصادر: مبادئ التربية العلمية والنصوص الإسلامية حول الأسرة [5] [12] [19] [16] وغيرها.

---

[1] الثقافة والتربية الأسرية: فهم التأثير على التنشئة
https://www.mojtamaafikr.com/2024/11/impact-culture-family-parenting.html

[2] [3] [6] [15] [16] الثقافة التربوية
https://annabaa.org/arabic/books/14122

[4] دور الأسرة في التربية والتعليم - موضوع
/https://mawdoo3.com
%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85%

[5] [7] تقصير الأب في تربية أبنائه أمر منكر
-https://www.islamweb.net/ar/fatwa/133304/%D8%AA%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%B1
-D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9%
D8%A3%D8%A8%D9%86%D8%A7%D8%A6%D9%87-%D8%A3%D9%85%D8%B1-%D9%85%D9%86%D9%83%D8%B1%

[8] إسلام ويب - الآداب الشرعية والمنح المرعية - فصل في فضل الأدب والتأديب- الجزء رقم3
-https://www.islamweb.net/ar/library/content/43/650/%D9%81%D8%B5%D9%84-%D9%81%D9%8A
-D9%81%D8%B6%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%
D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A3%D8%AF%D9%8A%D8%A8%

[9] [10] [11] [12] [13] كيف نربي أطفالنا - الشيعة
-https://ar.al-shia.org/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D9%86%D8%B1%D8%A8%D9%8A
/D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7-%D8%9F%

[14] [17] [18] [19] [21] التحديات التي تواجهها الأسرة في العصر الحديث
https://sharjah24.ae/ar/articles/2024/08/07/nj380

[20] التربية الأسرية بين الشدة واللين
https://family-guidance.net/contents/view/details?id=386